

قدوة البررة ابو طلحة

اخرج البخاري في صحيحه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان احب امواله اليه يبرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال انس فلما انزلت هذه الآية : (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام ابو طلحة الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول : (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان احب اموالي الي يبرحاء وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله تعالى فضمها يا رسول الله حيث اراك الله قال : فقال رسول الله ﷺ : (بخ ذلك مال راجح ذلك مال راجح وقد سمعت ما قلت واني ارى ان تجملها في الاقربين) فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله ، فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه .

يرحاء ضيمة طيبة الثمر محصولها من التمر كثير ، وواردها كبير ، امتازت بوفرة الماء وبجسن موقعها فهي في مقابلة المسجد ، وهي بجملتها اغلى ما ملك الصحابي الجليل ابو طلحة لم يتأخر عن وضعها تحت امر رسول الله وتصرفه ليفوز بالبر ، فأمره ﷺ أن يجملها في الاقربين ففعل ، فهل تسمد قرابة الاغنياء والاثريين فينا كما سمعت قرابة ابي طلحة ، فنقضي على فقرهم ومرضهم وجهلهم ونصلي على المصلح العظيم . وبخ كلمة تقال عند الرضا والاعجاب .

لقد غرس سيدنا رسول الله ﷺ في نفوس الصحابة الكرام سجايا فاضلة ،
واخلاقا كريمة ، وصفات عالية ، منها ما تعرض له في شرح هذا الحديث الشريف
من مبادرتهم الى امتثال اوامر الله والعمل على وفق مراد رسول الله حتى كان لهم
القدح المملئ في ذلك وكان الله سبحانه وتعالى علم ما في نفوس اصحاب نبيه من
حب امتثال الاوامر واجتناب النواهي والسير على وفق مراد الله ورسوله حتى
وصفهم بذلك الوصف الحري بهم الجدير بامثالهم بقواه : (واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعيينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا
مع الشاهدين) وهذا ابو طلحة زيد الانصاري احد الاغنياء والمثريين من اصحاب
رسول الله ﷺ ما كاد يسمع قول الله عز وجل : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون) حتى قام مسرعاً الى النبي ﷺ مبرهنأ عن ايمان قوي ، وعزيمة صادقة ،
ونفس وثابة الى حب الخير وتفان في محبة الله ورسوله ، وامثال امرها وهو يقول :
يا رسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان
احب اموالي الي يبرحاء ، وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها
يا رسول الله حيث اراك الله) ، وما كاد ابو طلحة يتم كلامه حتى غدا رسول الله
ﷺ مصجياً بممله ، مرغباً في فعله ، شاهداً بصدق ايمانه الذي قد قر في صدره
وغلى في نفسه غلي الماء في الرجل الى ان قال النبي ﷺ كلمته فيه (نج ذلك مال
راجح ذلك مال راجح وقد سمعت ما قلت واني ارى ان تجعها في الاقربين) وكيف
لا يكون ذلك مالا راجحاً وعملاً مشكوراً وتجارة مباركة لا يرجي كسادها على مدى
الايام والدهور . وقد شهد لك بذلك يا ابا طلحة خير الاولين والآخرين ، وامام
الانبياء والمرسلين ، فأعظم بها من شهادة غدوت بها يا ابا طلحة منعم الفؤاد مثلج
المصدر محوطاً بنعم الله عليك وجزائه الاوفى .

هذا ما كان من عمل ابي طلحة حين سمع قول الله عز وجل : (لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون) وهي نموذج من افعال اصحاب رسول الله ﷺ ومبادرتهم

إلى العمل بمقتضى القرآن الكريم ، واقوال السيد الحكيم . وكم من اناس بعد ابي
طلحة فاقوه في الثروة والفنى سموا صدى هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات
المرغبة لهم بثواب الله الدائم ، ونعيمه المقسيم ، فلم يلقوا لذلك بالا ،
وقد اعرضوا عن العمل باحكام الله إعراضا ، وهم مجدون دائبون على جمع الحطام
من حل وحرام كأنهم لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عذابه ، وكأنهم هم الذين
عناهم الله بقوله : (فطال عليهم الامد فقسمت قلوبهم) ندعوه تعالى ان يوفق المسلمين
الى العمل بمقتضى الشرع والذين ، حتى يكثر فيهم من امثال ابي طلحة وصحابة
النبي الكريم ، فتعود الينا عزة الاجداد ، ونصبح في عداد السادة الاجداد .



الدرس الثاني عشر

فضيلة العلم وقبض قبض العلماء

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واطلوا .

* * *

العلماء مصابيح الهداية ، وشموس المعارف ، واقمار الحقيقة ، ونجوم الارشاد ، بهم يهتدى الضال ، ويسترشد التائه ، ويستنير الجاهل ، ميزم الله يبسطه عليهم ووفرة ذكائهم ، وحدة فكرهم ، وسداد رأيهم ، فهم قادة الفكر وأئمة الرأي واطباء النفوس ، القائمون بنشر المعارف والعلوم فيحلون مشكلها ، ويوضحون فامضها ، ويبينون مجملها ، اختارهم الله لميراث انبيائه ، وامانة شريعته ، وقيادة خليقته . قاموا بحق الميراث فأدوا الأمانة ، واحسنوا القيادة . والحق انهم الدواء الناجع ، والترياق الشافي لما استمعى من سبىء الاخلاق والمادات . يهدمون ما اسسته الفوغاء ، واقامه السفهاء ، فأقوالهم فصل الخطاب ، وفماهم شرعة غراء وصفهم الله باوصاف جليلة حرية بهم جديرة بامثالهم في مواضع شتى وآيات متفرقة تنبئها على علو شأنهم ، ورفعة مكانهم فقال سبحانه : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون — يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اتوا العلم درجات — شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة والوا العلم قائماً بالقسط) . فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه ، وثنى بالملائكة ، وثلت بالعلماء ، وقال سبحانه بصفتهم بالخشية والمراقبة

والخوف والوجل منه : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) . وأمر الله نبيه ﷺ ان يدعو بما علمه به في القرآن الكريم (وقل رب زدني علماً) وقال سبحانه ايضاً في تفخيم شأن العلم وقد سماه حكمة بقوله : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) والنبي ﷺ يشيد بمكان العلم وأهله فهو يقول : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) . ويقول : ان الملائكة لتضع اجنحتها لطلاب العلم رضى بما يصنع وهو القائل لماذا لمسا بئمه الى اليمن : (لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها) .

فكرة العلماء في الامة ، والتفاف الناس حولهم دليل واضح ، وبرهان ساطع ، وحجة دامغة على مبلغ رقى الامة وتقدمها في حلبة الفضائل والكمال ، كما ان قلتهم وانفضاض الناس من حولهم مشعر بانحطاط الامة وتأخرها ، وذلك لاسباب فشو الجهل وقلة العلم ، وبها يكون الهلاك والمطب ، وهذا ما خشيه السيد الحكيم ﷺ . فاعظم الفواجع واكبر المصائب موت العلماء وفقد الفضلاء ، وعلى الخصوص اذا لم يتركوا خلفاً يسد فراغهم ، ويشغل مكانهم . وبموت العالم ينطفيء مصباح الهدي ، وينهدم ركن الارشاد ، ويثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه . فليفتنم طلب العلم بحياة العلماء ، وليسع لحضور مجالسهم ، واخذ العلم عنهم ، والا تصدر المجالس من ايس باهل ، وأفتى من ليس بينه وبين العلم مصاهرة ولا نسب ، فيعم الجهل ، ويعظم الخطب ، وتغير الاحكام فيحرم الحلال ويحلل الحرام وتهدد الامة بالزوال والخسران . فواجب على العلماء أن يذيعوا الاحكام ، ويبينوا الحلال والحرام وليصدقوا بامر الله ورسوله ولا يخشوا في الحق احداً ، فان الله يحوطهم برعايته ، ويكؤم بنيته ، ويعصمهم من الناس . وعلى العامة أن يصفوا لاقوالهم ؛ ويتلهنوا لمواعظهم وارشاداتهم ، وان يأخذوها بالقبول والرضا والتسليم .

الحياء أكل شعب الإيمان

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان .

شعب الإيمان كثيرة ، وخصاله غزيرة لا تدخل تحت عدد او احصاء . وإنما أراد النبي ﷺ بذكر العدد التكثير ولذا اهتم بقية الشعب ولم يذكرها كاملة ، ومما يدل على ما اردناه ما جاء في الرواية الاخرى (بضع وسبعون) ولو اراد التحديد لم يكن سبيل لهذا التفاوت . وقد تكلف الاجوبة وتجشم المصاعب من يرى أن ذكر العدد إنما هو للتحديد وأن لا منافاة بين الروایتين ، بما لاحاجة اليه ، ولا طائل تحته . وخص عليه السلام الحياء بالذكر من بين الشعب كلها بياناً لاهميته ، وحسن مزيته ، وللاعتناء بشأنه والتخلق به . وفي رواية لمسلم زيادة في بيان بعض الشعب يقول : (فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذي عن الطريق) .

البضع في اللغة القطعة من العدد تجعل لما دون العشرة من الثلاث إلى التسع على الصحيح ، وقيل: غير ذلك، وهو خاص بالعشرة الى التسعين فلا يقال: بضع ومئة وبضع والنف قاله الفراء . ويكون مع المذكر بهاء ومع المؤنث بنير هاء . والشعبة: القطعة والمراد بها الخصلة . والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب عليه او يذم، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه . وفي الشرع خلق يعمت على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فيه في حق ذي الحق .

والحياء خلق كريم يحول بين المرء ومعصية الله ، ويمنع صاحبه مما يبغى عليه ويذم به ، ولمثل هذه الاوصاف كان الحياء خلقاً محموداً ، وسجية فاضلة لما يترتب عليه من نتائج طيبة ، وثمرات مشكورة ، ومابالك بخلق يكف صاحبه عن الاسترسال في شهوات نفسه وملذاتها ، ويكون حاجزاً منيماً وسداً حصيناً بين الرجل وبين ما يجول في فكره ، ويتردد في خاطره من القيام بالجرائم الموبقة ، والذنوب المهلكة ، والاعمال الشائنة الخلة بالآداب العامة ، وانظمة الحياة وقوانينها ، فيدافعه خلق الحياء حتى يرجعه الى جادة الحق والصواب ، ويقطع عن كل ما اعتزم من الشر والآثام . فأعظم به من خلق كريم تخلق به السيد الحكيم ﷺ ، وما ورد في وصفه عليه السلام انه كان شديد الحياء والتواضع ، وكان أشد حياءً من المذراء في خدرها ، ولذا امر ﷺ بالتخلق به في احاديث كثيرة واقوال بليغة منها قوله : (الحياء خير كله) . وفي حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الانصار وهو يمظ اخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ : دعه فان الحياء من الايمان . والحياء من خصائص الانسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالحيوان الأعجم ، وقد يتولد الحياء من الله تعالى من الثقلب في نعمه فيستحي العاقل أن يستعين بهما على معصيته ، وما اثر عن بعض السلف قوله : حق الله على قدر قدرته عليك ، واستحي منه على قدر قربه منك) ومما يؤيد هذا المعنى ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام : (اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك) ومما جاء في معنى الحياء ماخرجه الترمذي عنه ﷺ أنه قال : (استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : انا نستحي والحمد لله فقال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) .

وليس الحياء كما يفهمه بعض الناس على غير وجهه الصحيح ، ومعناه الحق ، وذلك كالحياء المانع صاحبه عن قول الحق والمجاهرة به ، او عن القيام بفرائض الله

واحياء شعائر الاسلام ، او التجمل بالعمل بسنة النبي عليه السلام ، او عن تركه
التفقه في الدين ، وتعلم الاحكام الشرعية الواجب معرفتها على كل مكلف من
المسلمين ، فليس ما ذكرناه من الحياء في شيء وانما هو عجز وهانة ، وجبن
وحقارة ، وتسميته حياء على سبيل المجاز لمشايمته الحياء الحقيقي . وقد ائنت ام
المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها على نساء الانصار في الصحيح انها قالت :
رحم الله نساء الانصار لم يمنهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن ، وأن يتفقهن في
الدين . وروى البخاري عن ام سلمة أنها قالت : جاءت ام سليم الى رسول الله
ﷺ فقالت يا رسول الله : ان الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسل اذا
احتملت ، فقال : نعم اذا رأت الماء) . ومن تويخه عليه السلام على سبيل التهديد
قوله : (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) يعني اذا لم يكن لديك حياء يحول بينك وبين
ما تشتهي من محارم الله تعالى . فاصنع ما بدالك فانك مجزي به (فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

النسيئة وترك التزه من البول

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي ﷺ بمحاط من حيطان المدينة او مكة ، فسمع صوت انسانين يمدبان في قبورها فقال النبي ﷺ : يمدبان ، وما يمدبان في كبير ، ثم قال : بلى ، كان احدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشي بالنسيئة . ثم دعا بمجريدة رطبة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منها كسرة فقبل يارسول الله : لم فعلت هذا ، فقال : لعله أن يخفف عنها ما لم يبسا .

المعاصي محارم الله التي نهى عباده المؤمنين أن يقربوها ، وأن يتعدوا حدودها ، وقد بين النبي ﷺ غيب معصيتين ذميتين ، وخصلتين قبيحتين يغل عنها ، ولا يخرز منها كثير من الناس . وذلك بينا كان النبي ﷺ في بعض طرق المدينة ومفاوزها إذ (مر بمحاط) أي بستان (من حيطان المدينة او مكة) وفي رواية الدارقطني عن جابر أن الحائط كان لام بشر الانصارية وكان بالمدينة (فسمع صوت انسانين يمدبان في قبورها) ولم يسمها النبي ﷺ ستراً لها وخشية من الافتضاح ، وكانا مؤمنين إذ لو كانا كافرين لم يدع لها تخفيف العذاب ، ولم يترج لها ذلك (فقال النبي ﷺ يمدبان وما يمدبان في كبير) عند الناس أي لا يمدونه كبيراً ، أو ليس بكبير في مشقة الاحتراز فلا يشق عليها الاحتراز منه (ثم قال بلى) انه كبير عند الله ، وذلك بقربان المعصية ، واستصغار الذنب

واحتقاره ، وعدم المبالاة فيه ، ثم بين عليه السلام نوع المصبتين بقوله : (كان
 احدهما لا يستتر من بوله) أي لا يتوقى من بوله فتفسد طهارته وتبطل عبادته .
 وفيه وعيد شديد لمن لا يحترز من بوله أو يترك الاستنجاء أو لا يبالي في كشف
 عورته للناس ، وكل هذه الافعال مخلة بالمعاشرة الشرعية المطلوبة ، ومزرية بالمرء
 بين خلانه واقرانه (وكان الآخر يمشي بالنميمة) بين الناس ، فينقل كلام الناس
 بقصد الاضرار والافساد ، اما ما اقتضى فعل مصلحة أو ترك مفسدة فهو مطلوب .
 والنميمة من الكبائر التي هول في شأنها النبي عليه السلام في احاديث كثيرة
 ومواعظ بليغة فمن ذلك ما رواه الشيخان وغيرها عن حذيفة قال : سمعت النبي ﷺ
 يقول : (لا يدخل الجنة قتات ، وفي رواية نمام) وقال تعالى : (ولا تطع كل حلاف
 مهين ، هازم شاء بنميم) فهي سبحانه وتعالى عن طاعة من هذا وصفه ، والههاز
 العلمان المياب المقتاب الذي يمشي بين الناس بالوشاية والافساد ، وقصد الاضرار ،
 واشمال نار الفتنة وإذكاء لهيها ، فما رأيتك بمن يجمل من الاخوين عدوين ، ومن
 الصديقين بنيضين ، ومن الزوجين متنافرين ، ومن القبيلتين خصمين . وقد أمر
 الله سبحانه بالترث والتبين في قول هذا القائل والتثبت مما ينقله من اخبار ويمشي
 به من فتن قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا
 قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . والحق ان الهام عضو فاسد في المجتمع
 يجب اقصاؤه وابعاده وعدم الاصفاء اليه فيما يقول فمن فعل ذلك كفي شرم ، ووقى
 اذا هم ، والله المسئول ان يكفيننا شرم ، ويبعد عنا شرم ، (ثم دعا) عليه السلام
 (بجريدة رطبة) من جريد النخل وهي التي عليها ورق (فكسرها كسرتين)
 شقها نصفين (فوضع على كل قبر منها كسرة فقبل يا رسول الله لم فعلت هذا فقال :
 لعله ان يخفف عنها ما لم يبسا ، ويؤخذ من ذلك ندب وضع الجريد ونحوه مما
 كان رطبا على القبر ، والحكمة في تخصيص الرطب بدل اليابس أنه يسبح الله تعالى
 ما لم يجف فلهه يكون سبباً في رفع المذاب عن أهل القبور كما رجاء ﷺ .

الدرس الخامس عشر

نعمة المال والعلم

اخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحنق . ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها .

* * *

الحسد داء عضال ، ومرض قتال ، وآفة شائنة ، ورذيلة ممقوتة ، وخصلة مزرية اذا استحكمت بالراء وتمكنت منه وقوي عضدها ، واشتد ساعدها خشبي على حياة صاحبها لما تورثه من حزن دائم وتفكر طويل وهم عظيم .
وكيف لا يكون الحسد من الدناءة والخسة كما وصفنا واضاف ما ذكرنا والحسود يحسد من لا ذنب عليه ولا خطيئة له ويبقى في حالة الحزن والكمد يهيج صدره حنقاً ، ويتسمر فؤاده غيظاً يتعنى زوال النعمة عن اخوانه ، ويكره لهم الخير ويضمر لهم السوء والشرو وقد نهى الله عنه بقوله : (ولا تمنوا ما فضل الله به بمضكم على بعض في الرزق) وامر الله بالتموذ منه بقوله : (ومن شر حاسد اذا حسد) وفي هذا الحديث اطلق الرسول الاعظم ﷺ الحسد واراد به الفبطة من اطلاق اسم المسبب على السبب ويدل على هذا حديث ابي هريرة رضي الله عنه بلغظ فقال : (ليتني اوتيت مثل ما اوتي فلان فعملت بمثل ما يعمل) حيث لم يتمن السلب بل أن يكون مثله وعلى هذا فالاستثناء متصل والمعنى لا حسد محمود اي لا ينبغي الاعتباط الحسد في اللغة : تمنى زوال نعمة الغير عنه اليه او الى غيره وقد يضيف الى التمني السمي في زوالها . والفبطة ان يتمنى مثلها مع بقاءها على صاحبها .

الا في هاتين النعمتين . واذا كان الحسد كله شراً يجوز ان يكون من قبيل الاستثناء المنقطع يعني فلا حسد مباح مطلقاً ولكن هناك نعمتان محمودتان ليستا من الحسد المذموم . وهاك بيان النعمتين .

النعمة الاولى : رجل آناه الله مالا فلم يكن مقترراً وخسيساً ، ولا شحيحاً وبخيلاً ، يرضى على نفسه بالانفاق ، ويمنع حق الله منه ، ولم يكن مبذراً مسرفاً ينفقه في شهواته ، والتمتع بملذاته بما هو محظور في الشرع الخفيف ، والمصلحة السمحة . وانما كان مثاله مثال العاقل في تصرفه ، الحازم في رأيه ، ينفقه في طرق البر والخير . وذلك كعمارة المساجد ، وإشادة المدارس النافعة ، وأقامة المستشفيات ، وإطانة المنكوبين ، ومواساة البائسين ، وصلة الفقراء والارامل واليتام ، والمطف على ذوي الحاجات والمهات ممن لا يستطيعون القيام بشؤونهم ، وكسب ما يقوم بأودم ، والمساهمة في الشركات النافعة ، والجمعيات الخيرية العامة وغيرها من انواع البر الكثيرة على ما أشارت اليه الآيات القرآنية كقوله تعالى : (وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين في الرقاب) الى قوله : (اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وكقوله سبحانه ايضاً : (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) فمن كانت هذه اعماله ، واوصافه واحواله ، يحق لكل فرد أن يقبضه على ما اولاه الله من نعمة ، واجرى على يديه من خير وفير .

النعمة الثانية : رجل وهبه الله نعمة العلم ، وقوة الفهم ، وآناه الحكمة فهو يقضي بها بين المتخاصمين ، ويحيب السائلين ، وينشر انواع العلوم والمعارف بين طبقات الامة وافراد الشعب بدعوم الى الاخلاق الكريمة ، والصفات النبيلة ، والسجايا الفاضلة ، والمزايا المالية فيحسن لهم الحسن ليتبعوه ، ويصور لهم القبيح بأشنع الصور ليجتنبوه ، شعاره قول الله تعالى : (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فلا تفر منه ، ولا يسكل ساعده في الدعوة الى الله ، وتبيين

احكامه فيحطل حلال الله ، ويجرم حرامه ، يقف عند امره ونهيه ووعده
ووعيده . اقامه الله سيفاً مسلولا من سيوف الحق على الماندين الضالين فهو
يقمهم بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، والادلة القاطعة ، فيرد كيد
الكائدين ، وشبه المبطلين ، وخرافات المبتدعين من اهل الزيغ والضلال . فهذا
جدير بالغبطة والتمني وفي مثله يقول الله تعالى : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب) .

هاتان النعمتان الجديرتان بالتمني الخليقتان بالغبطة ، فهما أس الفضائل ،
وينبوع المكارم والكمال ، وعليها يترتب حسن الحال والمآل .



الدرس السادس عشر

الدين ومفئته

أخرج البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ أتني بجزاة فقالوا صل عليها، فقال: هل عليه دين قالوا: لا، قال: فهل ترك شيئاً قالوا: لا فصلي عليه ثم أتني بجزاة أخرى، فقالوا يا رسول الله، صل عليها، قال: هل عليه دين قيل: نعم قال: فهل ترك شيئاً قالوا: ثلاثة دنائير فصلي عليها، ثم أتني بالثالثة فقالوا: صل عليها قال هل ترك شيئاً قالوا: لا. قال فهل عليه دين قالوا ثلاثة دنائير قال: صلوا على صاحبكم قال: أبو قتادة صل عليه يا رسول الله وعلى دينه، فصلي عليه .

لا يستدين العاقل ولديه سعة في المال ومجوحة في العيش وإنما يستدين بقدر الحاجة لضرورة تلجئه وحاجة ملحة تدعوه لذلك . ولهذا ترى السيد الحكيم ﷺ يزجر الصحابة الكرام عن الدين بقوله وفعله وبين لهم مفئته .
وها هو ذا النبي ﷺ يتوقف عن الصلاة على الجزاة - كما سنعرض له موضعاً إن شاء الله - لما علم أن صاحبها مات ولم يترك شيئاً يقوم بوفاء دينه . واداء ما استحق بدمته لغرمائه . وإنما امتنع النبي ﷺ عن الصلاة على هذا الميت وأمثاله لغرض شريف وغاية نبيلة ومقصد حسن يتوخى منه الرسول ﷺ تغيير العجاة من الدين وزجرهم عن الماطلة في الحقوق وإيسار عوا لاداء ما استحق عليهم وتوجب في ذمهم لغرمائهم .

واول ما ينبغي ان يستحضره المستدين عند اخذ المال من الدائن العزم على
 الوفاء عند الاستحقاق او توفر المال لديه . ومن اخذ اموال الناس بهذه النية فلا
 شك ان الله يهيئ له الاسباب المؤدية والسبل الموصلة للكسب والريح فيدرك امنيته
 وبلغ غايته . واما من اخذ اموال الناس بنية سبئية وطوية خبيثة يقصد الجحود
 والانكار واكل اموالهم بالباطل والخديعة والحيلة والمكر فان الله يوافيه بجزاء
 نيته وخبث طويته . فيفتح عليه ابواب المصائب والبلايا والشرو والفتن التي تؤدي
 الى ابادته ، وتضييع ثروته ، تحقيقاً لما جاء في الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه
 عن النبي ﷺ قال : من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عنه ، ومن اخذها
 يريد اطلاقها اتلفه الله ، واليك ايضا ما جاء في الحديث الشريف الذي نحن بصدد شرحه .

بينما كان سيدنا رسول الله ﷺ في مجلس ومنه بعض اصحابه (اذ اتى بجنزة
 فقالوا صل عليها) يا رسول الله فبادر صلوات الله وسلامه عليه يسأل عن صاحب
 الجنزة (فقال هل عليه دين) لانه عليه السلام كان قبل ان تفتح عليه الفتوح
 اذا اتى عدينا لا وفاء لدينه قال لاصحابه صلوا عليه ولا يصلي عليه هو تحذيراً من
 الدين وزجراً عن المماطلة كما ذكرناه آنفاً ثم بعد ذلك صار يصلي على كل جنزة
 حضرها ويلتزم بالدين (قالوا لا قال فهل ترك شيئاً قالوا لا فصلى عليه ثم اتى بجنزة
 اخرى) ولا يزال النبي في مجلسه الاول بين اصحابه (فقالوا يا رسول الله صل
 عليها قال هل عليه دين قيل نعم قال فهل ترك شيئاً) يقوم بوفاء دينه (قالوا) ترك
 (ثلاثة دنائير) وكأنه ﷺ علم بقرائن الحال ان ما تركه في بقضاء دينه ولذا قام
 (فصلى عليها ثم اتى بالثالثة فقالوا صل عليها) يا رسول الله (قال هل ترك شيئاً
 قالوا لا قال فهل عليه دين قالوا نعم) عليه (ثلاثة دنائير قال صلوا على صاحبكم)
 وتوقف النبي ﷺ ان يصلي عليه لانه لم يبريء ذمته بمجباته ، ولم يترك شيئاً يقوم
 بوفاء دينه بعد مماته . فساء الصحابة امره لما ان هذا المسكين سيحرم بركة صلاة
 النبي عليه ودعائه واستغفاره له . فانتدب الصحابي الجليل ابو قتادة الحارث بن

ربى الانصاري قائلاً: (صل عليه يا رسول الله وعلي دينه) وفي رواية ابن ماجه من حديث ابي قتادة نفسه، فقال ابو قتادة: انا اتكفل به زاد الحاكم في حديث جابر فقال النبي ﷺ هما عليك وفي مالك والميت منها بريء، قال: نعم فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ اذا لقي ابا قتادة يقول ما صنع الديناران حتى كان آخر ذلك ان قال قضيتها يا رسول الله قال: الآن بردت عليه جلده . وهذا الضمان صحيح عند جمهور الفقهاء من غير رجوع في مال الميت (فصلى عليه) رسول الله ﷺ .
فيعلم من هذا أن وبال الدين عظيم ، وإئتمه كبير عند الله تعالى ولا يسقط الا بأحد شيئين الاداء أو المسامحة وصاحب الدين مرهون بدينه في الآخرة ولو كان من أهل الجنة . والمدين معرض لذل المطالبة فضلاً عما يورثه من الهموم والانشكاد ومما أثر عن النبي ﷺ قوله (اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار) فعلى العاقل الابتعاد عنه مما امكنه ولا سيما ان النبي ﷺ تعوذ وامر بالتعوذ منه ، نسأل الله السلامة .

الدرس السابع عشر

الكال الدين وأمامه

أخرج البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: أي آية هي؟ قال: اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، فقال: عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزل فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة .

* * *

آية جليلة القدر عظيمة الموقع كبيرة الفائدة حسنة المغزى اختارها سبحانه ليختتم بها كتابه الكريم ، ووحيه المعجز ، وقانونه الالهي ، واحكام شريعته السمحة ، ودينه الخفيف .

ومن مزايا هذه الآية الكريمة التي انفردت بها عما بقي من السور والآيات . ان الله اكمل بها الدين بعرفة الاحكام الشرعية من الفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام . ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض . واتم بها النعمة على عباده المؤمنين بهدايتهم لاحكامه ، وتوفيقهم لمعرفة امره ونبيه وحلاله وحرامه ، وانجازه سبحانه ما واعد به في قوله : (ولا تم نعمتي عليكم) فكان من تمام النعمة أن دخلوا مكة آمنين . وحجوا مطمئنين ، لم يخالطهم احد من المشركين . وأنه سبحانه في هذه الآية اختار لهذه الامة دين الاسلام وملة ابراهيم عليه السلام عن الاديان كلها بياناً لشرف هذا الدين ، واعتناء بآية

السيد الحكيم عليه السلام كيف لا وقد نزل في مختلف الآيات والسور ما ينبيء عن مدحه
 والاطراء فيه والامر باتباعه والثناء عليه بمختلف انواع المدح والثناء . وحبسنا
 من ذلك قوله سبحانه : (إن الدين عند الله الاسلام) وقوله : (ومن يبتغ غير
 الاسلام ديناً فخلن بقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وهذا مادما كعب
 الاجبار وذلك قبل ان يسلم وكان معه نفر من اليهود أن يقول لخليفة المسلمين عمر
 بن الخطاب رضي الله عنه (يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر
 اليهود تزلت لامتخذنا لها عيداً) وأقننا لها محتفلاً في كل عام نجدد ذكرها ونستدرس
 فضائلها الكثيرة ؛ وذكرياتها المطرة . فيبتدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً :
 (اي آية هي قال) كعب (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
 لكم الاسلام ديناً) فيجيبه امير المؤمنين بكل تودة وسكينة قائلاً : (قد عرفنا ذلك
 اليوم والمكان الذي تزلت فيه على النبي عليه السلام وهو قائم برفة يوم جمعة) وفي رواية
 اسحاق بن قبيصة (تزلت يوم جمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد) قال النووي
 نعمناه انا ما تركنا تعظيم ذلك اليوم والمكان ، اما المكان فهو عرفات وهو معظم
 الحج الذي هو احد اركان الاسلام ، واما الزمان فهو يوم الجمعة ويوم عرفة وهو
 يوم اجتمع فيه فضيلتان وشرفان ومعلوم تعظيمنا لكل منها فاذا اجتمعا زاد
 التعميم فقد اتخذنا ذلك اليوم عيداً وعظمتنا مكانه ايضاً وهذا كان في حجة الوداع
 الخ ..) فله در عمر على هذا القول البليغ والجواب السديد . وروى علماء التفسير
 في كتبهم انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي عليه السلام ما يبكيك يا عمر فقال :
 ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فأما اذ كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال :
 صدقت فكانت هذه الآية نبي رسول الله عليه السلام عاتس بعدها احدى وثمانين يوماً ومات
 يوم الاثنين ليلتين خلنا من ربيع الاول ، وقيل لاني عشرة ليلة وهو الاصح
 سنة احدى عشرة من الهجرة .

الدرس الثامن عشر

الابتعاد عن مواضع الترم

أخرج البخاري في صحيحه عن صفية زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الاواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ يقلبها حتى اذا بلغت باب المسجد عند باب ام سلمة مر رجلان من الانصار فسلما على النبي ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: على رسلكما انما هي صفية بنت حبي، فقالا: سبحان الله، يا رسول الله، وكبر عليهم، فقال النبي ﷺ: إن الشيطان يبلغ الانسان مبلغ الدم وإني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئاً.

اشتمل هذا الحديث الشريف على آداب سامية، وعظات بليغة عالية، وتنبهات جلية القدر كبيرة الفائدة. فلقد كان سيدنا رسول الله ﷺ مؤدباً ومعلماً وحكماً ومرشداً بفعله وقوله، وكان ارفق باصحابه والمسلمين من آباءهم وامهاتهم، واخوانهم وقرابانهم. فمن شدة رأفته وبالغ رحمته وعظيم شفقته على امته ما سنبينه آتياً في شرح هذا الحديث الشريف.

وذلك بينما كان النبي ﷺ معتكفاً في مسجده بدار الهجرة في العشر الاواخر

الاعتكاف في اللغة: الملازمة على الشيء خيراً او شراً، وشرط: البت في المسجد من شخص مخصوص بنية.

من رمضان (جاءت) زوجه أم المؤمنين صفية بنت حبي رضي الله عنها (زوره
فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تتقلب) أي نزلت الى منزلها (فقام النبي ﷺ يقبلها
حتى اذا بلغت باب المسجد عند باب لم سلمة مر رجلا من الانصار) قيل : هما
اسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، وظاهر الحديث انه عليه السلام لم يجاوز معها باب
المسجد مع انه لا فائدة لقلبها لباب المسجد قط لان قلبها انما كان ابعد بينها لكن
ثبت في رواية اخرى فذهب ﷺ معها حتى بينها (فسلمها على رسول الله ﷺ) وفي
رواية فلما رأياه استجيبا فرجعا (فقال لها النبي ﷺ على رسلكما) يعني تأنيا في
مشيتكما ، او على هبتكما فليس شيء تكرهانه (انما هي صفية بنت حبي) بن اخطب
وكان ابوها رئيس خيبر وهي زوجه ﷺ وانما قال لها هذه المقالة دفعا للشبهة ،
وابعادا للريبة ، وايضا لاحقية والواقع (فقالا) على سبيل التعجب (سبحان
الله يا رسول الله) اي فانا نزهك عن هذا الظن السيئ ، والخاطر القبيح (وكبر
عليها) اي عظم وشق عليها ما قاله لها النبي عليه السلام (فقال النبي ﷺ) مينا
لها كيد الشيطان ومدخله وكيف يوسوس للمرء بتحليل الظنون الفاسدة مما
لاحقيقة له في الواقع بقوله : (ان الشيطان يبلغ الانسان مبلغ الهمم) في الجسد ،
وهو كناية عن قوة خبثه ، وشدة وسوسته ، (واني خشيت ان يقذف في قلبك
شيئا) ، ولم ينسبها عليه السلام لظن السوء به لعله يصدق لعانها ، وحسن إسلامها ،
ولكن خشيت عليها أن يوسوس الشيطان لها ذلك فيقضي بها الى انكفر المؤدي الى
الهلاك وخلود النار ، فرحة بها وشفقة عليها بادر ﷺ لاعلامها ، وايضاح الامر
لها قائلا : (انما هي صفية بنت حبي) وهو تعلم لمن يأتي بعدها اذا وقع له مثل ذلك ،
وقد روى الحاكم ان الامام الشافعي رضي الله عنه كان في مجلس ابن عيينة فسأله عن
هذا الحديث فقال له الشافعي : انما قال لها ذلك لانه خاف عليها الكفر إن ظنا به
التهمة فبادر الى اعلامها نصيحة لها قبل ان يقذف الشيطان في قلبها شيئا يهلكه

به ، وروي عنه انه قال : علمنا رسول الله ﷺ اذا حدثنا نساءنا أو محارمنا على الطريق ان نقول هي محرمة حتى لا نتهم .

وفي هذا الحديث من الاحكام ان يتعد المرء عن مواطن التهم ، ومواقف الريب ، واذا عرض له شيء من ذلك ان ينبه عليه كما فعل سيدنا رسول الله ﷺ ابعاداً للتهمة ، وكشفاً للحقيقة ، وخاصة ان كان ممن يقتدى بفعلهم ، ويسمع لهم كالعلماء واهل التقوي والصلاح لان ذلك سبب الى ابطال الاتفاقيات بهم .



الدرس التاسع عشر

عقاب من قتل نفسه

اخرج البخاري في صحيحه عن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :
كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله تعالى : بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة .

* * *

جريمة موبقة ، وذنب كبير ، واثم مبین يودي بصاحبه الى الهلاك والعطب ،
والخزي والعار في الدنيا والاعذاب الآخرة اشد واخزى ، وامر واقسى .

ولا يقدم على هذه الجريمة التكراء ، والعمل الشائن الا من ضل سعيه ، وفقد
هداه ووعيه ، وخرج من حدود الانسانية ، الى الطباع البهيمية وعبد في زمرة
الجبناة الذين لا يستطيعون مقاومة صعب الامور ، وجدير بمثل اولئك أن يسموا
بالمجانين الذين فقدوا عقولهم وصوابهم . وما رأيك بمن يبيد نفسه ، ويهدم بنيانه ،
ويقوض أركانه ، ظنا منه انها ملك له يتصرف فيها تصرف المالك في ملكه ، والعاقل
في حقله ، والفني في ثروته ، بل خانه فكره ، واخطأه ظنه ، فبي ملك لخالفها
ومصورها ، ومبدعها وجاعلها في احسن تقويم ، وخير وضع . وهي اثر دال على
عظيم قدرته ، وباهر صنمته ، كرمها وفخما وفضلها على سائر ما خلق بما اودع فيها من
سر عظيم ، وعقل راجح ، وفكر ناقب ، واقتدار على النطق والتعبير على ما اشارت
اليه الآية الكريمة بقوله تبارك وتعالى : (واقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ومن اجترأ
على إبادة هذا الهيكل الرباني ، والصنع الالهي فقد باء بغضب ومقت ، وطرده وبمده

من رحمة الله سبحانه ، وحرم الجنة ونعيمها التي وعد بها المتقون ، واعظم به من حرمان شديد خسر به الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين . وليعلم أن جنايته على نفسه كجنايته على غيره في الاثم والوبال بل اشد، وعند الامام ابي يوسف لا يصلى على قاتل نفسه .

فعلى الشباب ان يتنبهوا الى هذه الآفة الممقوتة ، والخطر الهائل ، وليقلعوا عنها فهي من أشر الاخلاق واسوأ العادات ، وما بال كثير منهم عند حدوث ضائقة مالية — على ما يزعمون — او عدم توفر ما يشتهون ، يعمدون الى ازهاق ارواحهم ، وابادة انفسهم ، فليتق الله الشباب في مثل هذه الاعمال ، وليعودوا الى حظيرة دينهم الحنيف ، وتعاليمه السامية .

الابتعاد عن الشبهات

أخرج البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنها قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراخ يرمى حول الحمى يوشك أن يواقمه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

* * *

هذا حديث كبير الموقع، عظيم الفائدة، جليل القدر لما اشتمل عليه من الأحكام الكثيرة، والفوائد الغزيرة، وقد أجمع العلماء على جلالة قدره ووصفه بالأوصاف البليغة الحسنة، قال أبو داود السجستاني: الإسلام يدور على أربعة أحاديث، ذكر منها هذا الحديث.

ويرشدنا السيد الحكيم ﷺ في هذا الحديث الشريف إلى الابتعاد عن مواطن الشبه ومواقف الريب، ومواقع الظنون والتهم، ويبين لنا الحلال والحرام وما يدور بينهما من المشبهات فهو يقول: (الحلال بين) واضح وهو ما أذن الشارع بتعاطيه بنص القرآن الكريم أو السنة المطهرة من كلام السيد الحكيم ﷺ وذلك كحل الطيبات بقوله تعالى (أحل لكم الطيبات) (والحرام بين) وهو ما نهى الشارع عن تعاطيه وأمر بالانكفاف عنه بنص القرآن أو كلام الرسول عليه السلام وذلك كتحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكقوله سبحانه: (حرمت عليكم أمهاتكم

وبناتكم) الى آخر الآية الكريمة (وبينها مشبهات) اي شبت بغيرها وهي الوسائط التي يكتنفها دايلان من الطرفين فمن ملحق لها بطرف الحلال لاقتضاء الدليل الشرعي وشبه لها فيه ، ومن ملحق لها بطرف الحرام لاقتضاء الدليل وشبه لها فيه من وجه آخر ، فتتنازع آراء العلماء والمجتهدين بالحظر والاباحة ، او الفعل والترك فمن قائل : انه حلال ومن قائل : انه حرام لتعارض الأدلة والنصوص فالورع الترك في مثل هذه الاحوال وذلك كالجحوم الحمر الاهلية، وكل ذي ناب من السباع او مخلب من الطير فان ظاهر الحصر بقوله تعالى في الآية الكريمة: (قل لا أجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه إلا ان يكون ميتة او دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به) فتدل على حل ما ذكرناه ، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ النبي عنها، ولهذا اختلف العلماء في القول بحلها وعدمه . ومن المشبهات ايضاً ما جاء في حديث الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : اختصم سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة في غلام فقال سعد : يا رسول الله هذا ابن اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه انظر الي شبهه . وقال عبد بن زمعة : هذا اخي يا رسول الله، ولد علي فراش ابي من وليدته. فنظر رسول الله ﷺ فرأى شبهاً بيناً بعتبة فقال: هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجني منه يا سودة، فلم تره سودة قط . فقد حكم رسول الله ﷺ بالولد للفراش وانه لزمعة على الظاهر وانه اخو سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ وذلك على سبيل التغليب لا على سبيل التقطع، وامر سودة بالاحتجاب منه للشبهة الواقعة والاخذ بالاحوط ومن هذا الباب ايضاً الامور التي لا نظمئن اليها النفس ولا يركن اليها الضمير فتركها والابتعاد عنها خير وأولى على حد قوله عليه السلام في حديث الحسن بن علي رضي الله عنها (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) رواه الترمذي، وكرهه عليه السلام التمرة الساقطة على الارض خشية أن تكون صدقة فقال : (لولا أن تكون صدقة لأكلتها) ومنها ما جاء في حديث عدي بن حاتم انه قال يا رسول الله ، اني ارسل كلبي واسمي عليه

فأجد معه على الصيد كلباً آخر، قال: لا تأكل إنما سميت على كلبك ولم تدم على غيره (فلم يفته بالحل خشية ان يكون الكلب الذي قتله غير مسمى عليه .

وليس من باب ترك المشبهات ما يفعله بعض العامة من الجهة أكثر استعمال ماء مطلق لم يتغير شيء من اوصافه خشية تقدير نجاسة فيه لاعلم له بها، او كترك الصلاة فكان لا أثر فيه للنجاسة مخافة أن يكون به بول قد جف وما اشبهه ، فليس هذا من الورع في شيء وإنما هو نتيجة هوس في عقل من يحترز منه واتقياده لوسوسة شيطانه ثم قال عليه السلام : (لا يعلمها كثير من الناس) أي من قسم الحلال او الحرام وقد يعلمها بعضهم من أي الفريقين هي ، فالنسبة ان علمها تكون من الحلال البين او الحرام البين . (فمن اتقى المشبهات فقد استبرأ) يعني طلب البراءة (لعرضه) من الطعن (ودينه) من النقص . ويبين الرسول ﷺ في هذه الفقرة وما يليها أن من اتقى الشبهات ونحى عنها، وطلب البراءة منها، كان ولا ريب أشد تحامياً وابتعاداً عن الحرام البين حرمة . ومن نشط نفسه ، ودفعته جرأته الوقوع فيها ولم يتحاشى المكروه ولم يأبه لخلاف الأولى كان استهتاره سبباً مؤدياً لوقوعه في الحرام، واقترافه الآثام . فعلى العاقل ان يقطع الطرق المؤدية ، والسبل الموصلة الى اقتراف محارم الله تعالى، وليجمل بينه وبين محارمه سبحانه حاجزاً منيعاً وسداً حصيناً .

(ومن وقع في الشبهات) التي اشار اليها النبي ﷺ في هذا الحديث فمن قائل: من العلماء إنه وقع في الحرام لقوله : (فقد استبرأ لعرضه ودينه) قالوا : ومن لم يستبرئ لعرضه ودينه فقد وقع في الحرام . وأرى أن هذا الرأي بعيداً حملة على سائر أنواع المشبهات ولان صح حملة على بعضها فلا يصح حملة على الباقي . وقال آخرون هي حلال بدليل قوله في الحديث : (كالراعي يرعى حول الحمى) ففيه دلالة على أنه حلال وأن من الورع تركه . وطائفة توقفت عن القول بانها من الحلال او الحرام وتوقفها من باب الورع ايضاً .

ثم ضرب عليه السلام مثلاً لمن يحوم حول الشبهات بقوله : (كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها) وهذا مثل ضربه النبي ﷺ لمحارم الله تعالى التي نهى عباده أن يقربوها . وذلك على عادة الملوك والسلاطين أن تحمي أرضاً وتنادي

في الناس بتوعد العقوبة لمن يقر بها، فالراعي الخذر الفطان يعتمد عنها ، ولا يقرب
 منها مخافة الوقوع فيها . واما من قرب من الرعاة منها ولا يأمن أن تشرد شاة فتقع
 فيها . وكذلك المؤمن الخذر يعتمد عن الشبهات مخافة الوقوع في الحرام فيأثم .
 والسلف الصالح حكايات بليغة وقصص عجيبة دالة على شدة ورعهم ، وقوة
 إيمانهم، وذلك كترك ابن ادم أجرته لشكه في وفاء عمله وطوى من جوع شديد.
 وكما أثر عن الامام النووي رضي الله عنه انه مكث مدة اقامته بالشام لا يأكل من
 ثمارها لما قيل: إن في بساينها بستانا ليقم . ومكثت السيدة بديعة الايجية بمكة اكثر
 من ثلاثين سنة لانها كل مما يجلب من بحيلة من ثمار ولحوم وغيرها لما قيل: إنهم
 لا يورثون البنات . وامتنع ابوها نور الدين من تناول ثمر المدينة لما ذكر له انهم
 لا يزكون . وقالت أخت بشر الحافي للامام احمد بن حنبل انا نزل على سطوحنا
 فيمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشماع علينا أيجوز لنا النزول في شعاعها فقال: من
 انت عاقلك الله فقالت : أخت بشر الحافي فبكي احمد رحمه الله وقال : من بيتكم يخرج
 الورع الصادق لا تنزلي في شعاعها ، والحكايات في هذا الموضوع عن السلف اكثر
 من أن تحصى (ألا وإن لكل ملك) من ملوك العرب (حمى) بحميه لرعي مواشيه
 وتوعد من رعى بغير اذنه بالعقوبة والبطش (ألا وإن حمى الله في ارضه محارمه)
 يعني معاصيه التي حظرها على عباده كالزنا والسرقه والنفلول وشهادة الزور وغيرهم
 من الجرائم والموبقات (ألا وإن في الجسد مضغة) اي قطعة لحم سميت بذلك لانها
 قدر ما يمضغ في القم لصفرها وعبر بها عن مقدار القلب بحسب الرؤية الظاهرة .
 وانما المراد بالقلب هنا العقل الذي ميز الله به الانسان، وفضله به عن سائر الحيوان
 والمخلوقات، فهو قائد الجسم وسيد البدن والآمر التام لبقية الجوارح والاعضاء ،
 فصلاحه صلاح لها، وفساده فساد لها كما قال عليه السلام : (اذا صلحت) اي المضغة
 المعبر بها عن القلب والمراد به العقل (صلح الجسد كله) تبما لها (واذا فسدت
 فسد الجسد كله) بالتبعية لها أيضا (ألا وهي القلب) وهناك القلب الصنوبري موزع
 الدم في عروق الجسم ومصالحه بمد فساد .

الدرس الحادي والعشرون

حرص النساء في عهد رسول الله ﷺ على مجالس

العلم ونواب من مات لهما أولاد

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فأجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار فقالت امرأة منهن : واثنين قال : واثنين وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه لم يلبثوا الخنث .

* * *

يتجلى بوضوح تام في هذا الحديث الشريف مبالغ حرص النساء في عهد رسول الله ﷺ على حضور مجالس وعظه وارشاده ، وتعليمه وهديه وذلك لما وقر في صدورهن من ايمان صادق، وإسلام صحيح ورغبة في تعلم الاحكام ، ومعرفة الحلال والحرام ، مما دعاهن أن يقلن : يا رسول الله (غلبنا عليك الرجال) أي استأثروا دوننا بحضور مجالس وعظك وإصغائهم لأقوالك الحكيمة ، ونصائحك الثمينة ، وما ينزل عليك من الوحي المشتمل على آي القرآن الكريم والذكر الحكيم ، ونحن لا طاقة لنا على مزاحمتهم لنستمع كما يستمعون ، ونسترشد بهديك كما يسترشدون . (فأجعل لنا يوماً من نفسك) أي من اختيارك لا اختيارنا . وفي تفويضهن الامر في تعيين اليوم الى النبي ﷺ آداب جليلة لا تخفى على ذي لب سليم، وعقل صحيح ، وحرصهن

التام على راحته ﷺ ، (فوعدهن) صلوات الله وسلامه عليه (يوماً لقيهن فيه فوعظهن) والتقدير فوفى بوعده فلقين فوعظهن (وامرهن) بامور شرعية . وورغبهن بالمحافظة على اوامر الدين وآدابه وأداء الصدقة وحذرهن مخالفة الاوامر والوقوع في المحظورات وغير ذلك من النصائح والارشاد (فكان مما قال لهن) أيضاً في موعظته عليه السلام (مامنكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان) أي التقديم (حجاباً) حاجزاً منيماً (من النار فقالت امرأة منهن) والقائلة: هي ام سليم وقيل: غيرها (واثنين) وكأنها فهمت من تحديد العدد بثلاثة الحصر وشوقها الى سؤاله عليه السلام ما سمعت ما يكون من الثواب العظيم والاجر الكبير عند الله تعالى لمن مات لها ثلاثة من ولدها ، فسألت عن حكم الاثنين هل يلحق بالثلاثة (قال واثنين) فلها حكم الثلاثة وذلك بتوقيف منه عليه السلام (وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه لم يبلغوا الحنث) والحنث: الاثم، والمراد أنهم ماتوا قبل سن البلوغ والتكليف فلم يكتب الحنث عليهم . والحكمة في حصر الثواب بمن لم يبلغ الحنث أن القلوب بهم أعلق ، فلا ينسب اليهم عقوق اذ ذاك ، والمصيبة عند النساء بهم اشد لقيام وقت الحضنة . ولا يختص الثواب بالنساء بل مثلهن في ذلك الرجال .

وقد جاء في ثواب الوالدين وما تصل اليه الاولاد من النعم احاديث كثيرة عن النبي ﷺ فمنها ما روي عن ابي حيان قال : قلت لابي هريرة : حدثني شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ تطيب به انفسنا عن موتانا ، قال نعم ، صفارهم دعابيص (١) الجنة يتلقى اجدم اباة فيأخذ بثوبه فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة رواه مسلم . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً حصيناً من النار . فقال ابو ذر قدمت اثنين

(١) الدعابيص جمع دعموص وهو الدخال في الامور . ومعناه أنهم سياحون في الجنة دخالون في منازلها لا يمنعون من موضع منها . كما أن الصبيان في الدنيا لا يمنعون من دخول الحرم .

قال : واثنين ، فقال ابي بن كعب سيد القراء : لقد قدمت واحداً ، قال وواحداً ، ولكن انما ذلك عند الصدمة الاولى رواه الترمذي وابن ماجه . وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم ابراهيم وسارة حتى يردهم الى آباءهم يوم القيامة رواه الحاكم في المستدرک وقل صحيح على شرط الشيخين .

ويؤخذ مما تقدم حرص الصحابييات رضوان الله عليهم على التفقه في الدين ، ومطالبتهم للنبي ﷺ بتخصيص يوم يلقاهن فيه ايشاطرن الرجال في اعمال الخير والبر والاحسان وحضور مجالس العلم دليل كبير على ايمان النساء في عهده عليه السلام . فأكثر الله في زماننا ممنهن . وألهم نساءنا من الخير ما ألهم اسلافهن .

